فتيان يؤلفون

تناقلت الصحف الدورية في الغرب هذه الايام رأياً للمسيو إميل فاغي من رجال العلم في فرنسا وأحد الاعضاء الاربعين في المجمع العلمي الباريزي قال فيه : انه لا ينبغي للكاتب ان ينشر ما كتب لينفع به الناس قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره وما هو قبل هذا السن الا معلم نفسه وممرن قلمه . وقد أذكرني هذا الرأي بان فى أمتنا من نبغوا قبل بلوغهم تلك المدة المعينة وأفادوا واستفادوا من ثمرات عقولهم . ولا يحضرني الآن من أهل الغرب الا اسم الشاعرين الانكليزيين كيت وشيلي اللذين قضيا في نحو الثلاثين من عمرهما وقد راق شعرهما كثيراً من الناقدين

أما في الشرق العربي فقد توفي ابن المقفع صاحب كليلة ودمنة وغيره من الكتب الممتعة وهو في السادسة والثلاثين . وتوفي سيبويه وهو لم يتجاوز الاربعين وقد برز في النحو حتى كان من لا يحفظ كتابه لا يعد بشيء في علم الاعراب . وفي مثل هذا السن توفي بديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل والمقامات البديعة . ولم يستكمل ابن سينا ثماني عشرة سنة من عمره الا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عناها من أصول الدين والأدب والطبيعي والرياضي والطب وعلم الاوائل ومات في الثالثة والخمسين وقد فاق الاوائل والاواخر . وابتدأ الشريف الرضي يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل . وألف ابن سبعين كتاب بدء المعارف وهو ابن خمس عشرة سنة . واقرأ ابن الاعلم النحو قبل أن يلتحي . وكتب سليمان ابن وهب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لاشناس ثم ولي

الوزارة . وقال السلامي الشاعر الشعر وهو ابن عشر سنين وأول شيء قاله وهو في المكتب

بدائع الحسن فيه مفترقه وأعين الناس فيه متفقه
سهام ألحاظه مفوقة فكل من رام لحظه رشقه
قد كتب الحسن فوق وجنته هذا مليح وحق من خلقه

واستظهر الوزير أبو القاسم المغربي من أهل القرن الرابع القرآن العزيز والكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر الف بيت من مختار الشعر القديم ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط مايقصر عنه نظراؤه من حساب المواليد والجبر والمقابلة الى مايستقل بدونه الكاتب وذلك كله قبل استكماله اربع عشرة سنة واختصر كتاب اصلاح المنطق فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من الفاظه وكان ذلك قبل ان يستكمل سبع عشرة سنة

ونظم الوزير اسماعيل بن حبيب النظم الفائق ونثر النثر الرائق قال في النفح: وأبو جعفر بن الابار هو الذي صقل مرآته، وأقام قناته، وأطلعه شهاباً ثاقباً، وسلك به الى فنون الآداب طريقاً لاحباً، وله كتاب سماه بالبديع في فصل الربيع جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة أعرب فيه عن أدب غزير، وحظ من الأدب موفور، وتوفي وهو ابن اثنين وعشرين سنة واستوزره داهية الفتنة ورحى المحنة قاضي اشبيلية عباد جد المعتمد ولم يزل يصغي الى مقاله ويرضى بفعاله وهو ماجاوز العشرين اذ ذاك وأكثر نظمه ونثره في الازاهر وذلك يدل على رقة نفسه .

هذا ومن يستقرئ التاريخ يجد امثلة كثيرة للنوابغ قبل السن الذي ضربه

الكاتب الافرنسي على ان النفع اذا لم يحصل ممن بلغ الرشد فاحر به ان لا يحصل أصلا وحصول النفع الحقيقي من ثمرات أعمال الكاتب قد لايكون في الثلاثين ولا في الاربعين من عمره ولذلك قيل

اذا بلغ الفتى عشرين عاماً ولم يفخر فليس له افتخار

الجنون بالكتب

الغالب ان عشاق الكتب كعشاق الجمال أو هم أضل سبيلا ، فتراهم هائمين خاملين لايعون على شيء في الارض ولا يحفلون بعظائم الأمور فضلا عن صغارها ، يجعلون الكتب روحهم وراحهم وريحانهم ، بل فروضهم ونوافلهم وأحاديثهم وأشغالهم . وكل شيء اذا جاوز الحد انقلب الى الضد . وكذلك الحال بعاشق الاسفار فربما جوّز لنفسه السرقة ولكن سرقة الكتب بل وربما أفتى بحل ذلك لمن يستفتيه . ولقد قرأت فصلا لاحد كتاب الفرنجة فآثرت تلخيصه كما يلي : أقر أحد عشاق الكتب يوماً في انكلترا عن نفسه واسمه ديبدن (١٧٧٦ – ١٨٤٧) انه هم يوماً ان يسرق وحمد الله على ان خلا بنفسه في خزانة كتب ستراسبورغ ولم تحدثه نفسه بسرقة كتاب منها . وكان خطر على بال رجلين في انكلترا ان يطبعا لانفسهما خاصة كتاباً يكون آية في طبعه ووضعه وصوره وورقه وتجليده ولم يطبعا منه غير نسختين . فما كان الا كلا ولا حتى حدثت أحدهما نفسه بان يذهب الى دار صاحبه ويستأثر دونه بالنسخة فيسرق بعض صورها حتى تكون نسخته هي التي يرجع اليها فراح في غياب صاحبه الى زوجه وطلب اليها ان تريه النسخة لغرض بدا له فدفعتها اليه وجعل يقلبها مهتماً بأمرها ثم استغفلها